

أحاديث رمضان ١٤٢٦هـ - الفوائد - الدرس (٣٦-٠٣) : إذا أصبح العبد و أمسى و ليس همه إلا الله وحده تحمل الله سبحانه حوائجه كلها

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٥-١٠-١٠

### بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

#### الإِنْسَانُ إِمَّا أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَ إِمَّا أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِنَفْسِهِ:

فائدة جديدة من فوائد ابن القيم رحمه الله تعالى: إذا أصبح العبد و أمسى و ليس همه إلا الله وحده تحمل الله سبحانه حوائجه كلها، و حمل عنه كل ما أهمه، و فرغ قلبه لمحبتته، و لسانه لذكره، و جوارحه لطاعته، و إن أصبح و أمسى و الدنيا همه حمله الله همومها، و غمومها، و أنكادها، و وكله إلى نفسه، فشغل قلبه عن محبته بمحبة الخلق، و شغل لسانه عن ذكره بذكرهم، و جوارحه عن طاعته بخدمتهم و أشغالهم، فهو يكدر كدح الوحوش في خدمة غيره كالكير ينفخ بطنه، و يعصر أضلاعه في نفع غيره، فكل من أعرض عن عبودية الله، و طاعته، و محبته بلي بعبودية المخلوق، و محبته، و خدمته " قال تعالى:

( وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِيضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ (٣٦) )

(سورة الزخرف: الآية ٣٦)

أي إما أن تكون عبداً لله، و إما أن تكون عبداً لنفسك.

#### من كان همه الله وحده تحمل الله سبحانه حوائجه كلها:

أيها الأخوة الكرام، أن تكون أنت لغير الله هذا احتقار لنفسك، و الإنسان حينما يكون تابعاً لغير الله أو حينما يكون محسوباً على جهة أرضية، يكون بهذا قد احتقر نفسه، قال تعالى:

( وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّا مِنْ سَفِيهِ نَفْسِهِ (١٣٠) )

(سورة البقرة: الآية ١٣٠)

أشياء كثيرة ترفضها احتقاراً لها، لكنك إذا رفضت الحق تحتقر نفسك، إما أن تكون في خدمة الخلق ابتغاء وجه الحق، و إما أن تكون عبداً لنفسك.

أيها الأخوة الكرام، ورد في بعض الآثار القدسية: "من أصبح و أكبر همه الدنيا جعل الله فقره بين عينيه، و شنت عليه شمله، و لم يؤته من الدنيا إلا ما قدر له، و من أصبح و أكبر همه الآخرة جعل الله غناه في قلبه، و جمع عليه شمله، و أتته الدنيا وهي راغمة."

" إذا أصبح العبد و أمسى و ليس همه إلا الله تحمل الله سبحانه حوائجه كلها، عبدي كن لي كما أريد أكن لك كما تريد، كن لي كما أريد و لا تعلمني بما يصلحك، أنت تريد و أنا أريد فإذا سلمت

لي فيما أريد كفيته ما تريد، و إن لم تسلم لي فيما أريد أتعبتك فيما تريد ثم لا يكون إلا ما أريد، لي عليك فريضة ولك عليّ رزق، فإذا خالفتني في فريضتي لم أخالفك في رزقك، وعزتي و جلالتي إن لم ترض بما قسمته لك فلاسلطن عليك الدنيا تركض فيها ركض الوحش في البرية، ثم لا ينالك منها إلا ما قسمته لك ولا أبالي وكنيت عندي مذموماً".

إذا أصبح العبد و أمسى و ليس همه إلا الله وحده تحمل الله سبحانه حوائجه كلها، عبيدي كن لي كما أريد و لا تعلمني بما يصلحك، أنا أعرف ما يصلحك، أعلم ما يصلحك، تحمل الله سبحانه حوائجه كلها، و حمل عنه كل ما أهمه، من جعل الهموم همماً واحداً كفاه الله الهموم كلها، اعمل لوجه واحد يكفك الهموم كلها.

### التوحيد أحد أكبر أسباب سعادة المؤمن:

المؤمن موحد أحد أكبر أسباب سعادته التوحيد، علاقته بالله وحده، الآن تخرج مع إنسان يكاد يخرج من جلده ناقماً، و ساخطاً، و يائساً، و محبطاً، و مقموماً، و يقول: أمامنا ظلام بظلام، لا يوجد خبر سار ، إذا كنت مع الخلق هذا شأنك، إذا كنت بعيداً عن التوحيد هذا شأنك، إذا رأيت أن هناك أقوياء يتحركون في الحياة، و يتصرفون من دون توجيه الله عز وجل، فهذا أيضاً نوع من الشرك، بل هو أخطر أنواع الشرك، إنه الشرك الخفي. إذاً: " تحمل الله سبحانه حوائجه كلها، و حمل عنه كل ما أهمه، و فرغ قلبه لمحبتته، و لسانه لذكره، و جوارحه لطاعته "

### من كان مع الله كان الله معه:

لذلك أنت حينما تكون مع الله يكون الله معك، و حينما تذكر الله في نفسك، أو في ملاً، يذكرك الله في ملاً خير منهم، و إذا تقربت إلى الله شبراً تقرب إليه منك ذراعاً، و إذا أتيت مشياً أتاك هرولة، و إن أصبح و أمسى و الدنيا همه حمله الله همومها، خذ من الدنيا ما شئت و خذ بقدرها همماً، من أخذ من الدنيا فوق ما يستطيع أخذ من حنقه و هو لا يشعر، حمله الله همومها، تجده محطماً. و الله أخ كريم دخل على رجل - و الكلام دقيق و فيه تحقيق - قال لي: حجمه المالي يقترب من أربعة آلاف مليون، قال لي: شكاً لي همومه و متاعبه، شكاً لي أهله و أولاده، شكاً لي أموره المعسرة، قال لي: بعد حديثه لا أقوى أن أقف على قدمي:

( وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (١٢٤) )

( سورة طه: الآية ١٢٤ )

أحد أكبر أغنياء اليهود في بريطانيا عنده غرفة يضع فيها أمواله، صندوق حديدي على شكل غرفة، فدخل إلى هذه الغرفة، و أغلق الباب خطأ عليه، و هي في مكان ناء من قصره، فوجدوه بعد حين قد جرح إصبعه، و كتب على الحائط: أغنى إنسان يموت جوعاً و عطشاً.  
كن لي كما أريد أكن لك كما تريد، هذا الذي أصبح و همه الدنيا حمله الله همومها، و غمومها، و أنكادها، و وكله إلى نفسه فشغل قلبه عن محبته بمحبة الخلق، عبد للناس، إنسان يقدم شيئاً بسيطاً تجده يثني عليه، و يلهج بذكره، و بحمده، و الذي منحه نعمة الإيجاد، و نعمة الإمداد، و نعمة الهدى و الرشاد، غافل عنه.

### من أعرض عن عبودية الله عز وجل و محبته بلي بعبودية مخلوق لنيم:

قال: " شغل الله قلبه عن محبته بمحبة الخلق، و شغل لسانه عن ذكره بذكرهم، و جوارحه عن طاعته بخدمتهم و أشغالهم، فهو يكدح كدح الوحوش في خدمة غيره، كالكير ينفخ بطنه، و يعصر أضلاعه في نفع غيره، فكل من أعرض عن عبودية الله عز وجل و محبته بلي بعبودية مخلوق لنيم".

احفظوا هذه العبارة: إما أن تكون عبداً لله فعبد الله حر، و إما أن تكون عبداً لعبد لنيم، إن أحسنت لم يقبل، و إن أسأت لم يغفر، إن رأى خيراً كتمه، و إن رأى شراً أذاعه، قال تعالى:

( وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِيضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ (٣٦) )

( سورة الزخرف: الآية ٣٦ )

### الناس ثلاثة ؛ عالم و متعلم على سبيل نجاة و همج راع:

أيها الأخوة الكرام، سمعت كلمة لبعض المنشدين يقول:

ما الناس سوى قوم عرفوك و غيرهم همج همج

\*\*\*

ر هذا القول ذكرني بقول للإمام علي - رضي الله عنه - قال: " يا بني - يخاطب ابنه - الناس ثلاثة ؛ عالم، و متعلم على سبيل نجاة، و همج راع أتباع كل ناعق لم يستضيئوا بنور العلم، و لم يلجؤوا إلى ركن وثيق فاحذر أن تكون منهم ".

أقول لكم هذه الكلمة و أنا أعني ما أقول: لو أنك تحمل أعلى شهادة في العالم و ما عرفت الله - سامحني بهذه الكلمة - فأنت مع الهمج، أي يمكن أن نقصف غرفة نوم بقصر بالعراق من إيطاليا، تصور صاروخ يخرج من بارجة في إيطاليا أين هدفه ؟ غرفة نوم بقصر، و تأتي الإصابة دقيقة، و الذين فعلوا هذا همج همج.

يمكن أن تخرع قمراً صناعياً، عندي مجلة الأرض بكاملها من القمر و فيها البحار و القارات و الغيوم، مربع ميليمتر، هذا كُبر صار منطقة في أمريكا الشمالية، عليه مربع ميليمتر كُبر فلوريدا، مربع كبر ساحل بفلوريدا، مربع كبر مرج بجانب الساحل، المربع كبر ثم كبر إلى أن أصبحت الصورة إنساناً يستلقي على ظهره، و يقرأ قصة، و بإمكانك أن تقرأ عنوان القصة، و إلى جانبه صحن فيه تفاحات ثلاث، يمكن أن تقرأ عنوان القصة و ساعته في يده اليسرى، و هؤلاء الذين وصلوا إلى هذا التقدم المذهل العلمي همج همج.

ما جرى في سجن أبو غريب همج همج، بقدر التفوق التقني في العالم بقدر الهمجية التي نراها.

### الإنسان إما أن يعرف الله فيرقى و إما أن يعيش على أنقاض الشعوب:

أيها الأخوة الكرام، هؤلاء " لم يستضيئوا بنور العلم، و لم يلجؤوا إلى ركن وثيق، قال: فاحذر أن تكون منهم ".

الآن يوجد قنابل تميت البشر فقط، الأبنية كما هي لا تصاب بأي أذى، الإنسان هش كقميص اللوكس، هناك قنابل تعطل الاتصالات، هناك قنابل تعطل الطاقات، هناك قنابل يمكن أن تدخل إلى ملجأ تخن سقفه متر إسمنت مع حديد مسلح، متى تنفجر ؟ بعد أن تخرق هذه المسافة المذهلة تنفجر في داخل الملجأ، اسمها الخارقة الحارقة، هناك قنابل انشطارية، هناك قنابل عنقودية، هناك قنابل ذكية، و الذين فعلوا كل هذه الأسلحة همج همج.

### ما الناس سوى قوم عرفوك و غيرهم همج همج

\*\*\*

و قد يحمل الإنسان أعلى شهادة في العالم ما كل ذكي بعقل، ترى بعينك شيئاً لا يصدق، قد يملك عشرة بالمئة من سكان الأرض تسعين بالمئة من ثروات العالم، لا يوجد رحمة بقلبهم، في أستراليا تمّ إعدام عشرين مليون رأس غنم قبل أعوام، و دفنوا حفاظاً على أسعار اللحم المرتفع، و أمم تموت من الجوع، أمم في إفريقيا تموت من الجوع، و أمم في شرق آسيا تموت من الجوع، و يتم إعدام عشرين مليون رأس غنم و غيرهم همج همج.

أحياناً محصول الحمضيات بأكمله يتلف في أمريكا، حفاظاً على أسعار الحمضيات، فأصبح الفقراء الزنوج يتسللون إلى مكان تخزين هذه البضاعة التي ينبغي أن تتلف فيأكلون، في العام القادم سمم هذا المحصول حتى لا يدخل زنجي يأكل برتقالة من دون مقابل، حتى يبقى السعر مرتفعاً، بعض السنوات السابقة أتلف محصول الزبدة بما يساري حجم أهramات مصر، و أتلف للحفاظ على السعر المرتفع، أما أن تقدم هذه الأغذية لشعوب تموت من الجوع، لا، و غيرهم همج همج صدقوا هذه الكلمة مؤثرة.

الإنسان إذا ما عرف الله همج وحش، وحش كاسر، ذئب، ضبع، إما أن تعرف الله فترقى، ترقى بمشاعرك، ترقى بإنصافك، ترقى برحمتك، ترقى بعدلك، ترقى بعفوك، ترقى بإنسانيتك، فإذا ما عرفت الله و لو بلغت أعلى منصب في الأرض، الدول العظمى ماذا تفعل ؟ تعيش على أنقاض الشعوب، تلغي وجود الشعوب، تلغي ثقافة الشعوب، تلغي خصوصيات الشعوب. لذلك أيها الأخوة الكرام، كما قال بعض المؤرخين المنصفين: "ما عرف التاريخ فاتحاً أرحم من العرب".

عندما فتحوا البلاد، سيدنا صلاح الدين عندما فتح القدس ما أراق قطرة دم واحدة، بينما الفرنجة عندما فتحوا القدس ذبحوا سبعين ألفاً في يومين.

ما الناس سوى قوم عرفوك و غيرهم همج همج

\*\*\*

" يا بني الناس ثلاثة ؛ عالم، و متعلم على سبيل نجاة، و همج رعا، لم يستضيئوا بنور العلم، و لم يلجئوا إلى ركن وثيق، فاحذر أن تكون منهم".

من رأى أن الأمور ترجع إلى الله وحده فهذا فهم صائب و سعادة كبيرة:

و الكلمة الأخيرة: إن لم تكن لله عبداً فأنت عبد لعبد لنيم:

( فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُكُونَ مِنَ الْمَعْدِيينَ ( ٢١٣ ) )

(سورة الشعراء: الآية ٢١٣)

تكون من المعدين، أحد أكبر أسباب العذاب في الدنيا أن ترى الأمر بيد غير الله، و الله أيها الأخوة الكرام، الأخبار السيئة أحياناً أنه لك عدو قوي، معه سلاح فتاك، لا يرحمك، يتمنى إبادتك، هذا الخبر وحده يسبب أزمة قلبية، أما حينما تشعر أنك عبد لله و أن الله لن يتخلى عنك، و لن يسلمك إلى غيره، و أن سعادتك بيده، و شقاءك بيده، و أن رزقك بيده، و حياتك بيده، و موتك بيده، حينما ترى أن الأمور ترجع إليه فهذا فهم صائب و سعادة كبيرة.

نعيد الفائدة: " إذا أصبح العبد و أمسى و ليس همه إلا الله وحده تحمل الله سبحانه حوائج كلها، و حمل عنه كل ما أهمه، و فرغ قلبه لمحبهته، و لسانه لذكره، و جوارحه لطاعته، و إن أصبح و أمسى و الدنيا همه حمله الله همومها، و غمومها، و أنكادها، و وكله إلى نفسه، فشغل قلبه عن محبته بمحبة الخلق، و شغل لسانه عن ذكره بذكرهم، و جوارحه عن طاعته بخدمتهم، و أشغالهم، فهو يكدر كدح الوحوش في خدمة غيره، كالكير ينفخ بطنه، و يعصر أضلاعه في نفع غيره، فكل من أعرض عن عبودية الله، و طاعته، و محبته، بلي بعبودية لمخلوق لنيم، قال تعالى:

( وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِيضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ (٣٦) )

( سورة الزخرف: الآية ٣٦ )

والحمد لله رب العالمين